

## مفهوم الإعاقة الفكرية بين النظرية والتطبيق



إعداد

أ.د. عبدالله محمد الوابلي

أستاذ التربية الخاصة، جامعة الملك سعود

تعد ظاهرة الإعاقة الفكرية بمسماها الحالي من بين الظواهر الأكثر ملازمة للإنسان منذ وجوده على هذه البسيطة، لذلك أدرك الإنسان الأول طبيعة هذه الظاهرة بصرف النظر عن كيفية التعامل معها، لكنه تعايش معها على أنها مشكلة إنسانية لها عواقب قد تظهر مع مرور الوقت على صيغة مشكلات نفسية واجتماعية تؤثر على الفرد نفسه وأسرته ومجتمعه، لهذا حاول الإنسان التصدي لها وفق ما لديه من إمكانيات وخبرات، مع أنها أخذت منه زمناً طويلاً في محاولة منه لفهمها والعمل على تقديم التفسيرات والحلول المناسبة لها، ولكن كانت النتيجة وجود رصيد من الإرث المعرفي تجاه هذه الظاهرة دفعت الأجيال التابعة واللاحقة من الاستمرار في تطويره، ووضع الأطر الأولية لمفهوم هذه الظاهرة. هذه الأطر فتحت آفاقاً واسعة أمام هذا الإنسان لبلوغ مبتغى التجربة الناضجة والفاعلة التي بدورها ساهمت بشكل واضح في تحديد معالم مفهوم الإعاقة الفكرية الذي نتعامل معه هذه الأيام، علماً أن هذا ليس نهاية المطاف، بل إن العمل لازال جارياً على قدم وساق لتقديم صورة ذات معالم أكثر وضوحاً لهذا المفهوم وفقاً لتجربة الإنسان الغنية في الوقت الراهن بالمعرفة والتقنية الحديثة التي لم يمر بها الإنسان من قبل.

لقد أخضعت ظاهرة الإعاقة الفكرية للدراسة العلمية والمنهجية وذلك في أواخر القرن التاسع عشر حيث بداية ظهور العلوم الإنسانية بأدواتها وطرائقها البحثية المختلفة وتزامناً أيضاً مع وجود جمعية علمية ومهنية تعنى بالإعاقة الفكرية وهي الجمعية الأمريكية للإعاقات الفكرية والنمائية التي عملت منذ ذلك الوقت على بلورة مفهوم الإعاقة الفكرية، إلا أن التحول المفصلي في بداية وضوح هذا المفهوم كان قد بدأ في أواخر القرن من الألفية الثانية (أوائل القرن العشرين) عندما بدأت الجمعية في طرح أدلتها العلمية التي بلغت حتى الآن أحد عشر دليلاً وذلك بمعدل دليل واحد لكل عشر سنوات تم من خلالها تقديم رؤية علمية لتفسير مفهوم الإعاقة الفكرية وكيفية التعامل معه.

يقيم فيها هذا الفرد، ولذلك نجد أن هذه التركيبة بعناصرها لا يمكن تجزئتها عكس ما كان عليه حال العقود التي سبقت هذين العقدتين، وبالتالي جاء طرح هذه النظرية التكاملية لمعالجة ومواجهة الخلل الملازم لمنظور مفهوم هذه الإعاقة المطروح خلال عقد الستينيات حتى الثمانينات من

لقد شهد العقدان الماضيان من القرنين العشرين والواحد والعشرين تطوراً واضحاً في بنية مفهوم الإعاقة الفكرية (التخلف العقلي سابقاً)، حيث نُظر إلى هذه الإعاقة على أنها حالة ذات تركيبة بنيوية متكاملة تتوزع في تركيبها ما بين تركيبة الفرد البنيوية وعلاقتها بتركيبية البيئة التي

القرن الماضي والمتضمن بأن الفرد هو مصدر هذا القصور أو العجز دون غيره، بعبارة أخرى فإن ما يظهره الفرد من أداءات سلوكية قاصرة تعود، حسب هذا المنظور، إلى تركيبة الفرد البنيوية العاجزة كسمة لا يمكن تغييرها، ولقد كان لهذه النظرة، أحادية البعد، أثرها ليس على معطيات الفرد ومخرجاته، بل أيضاً على عملية التعامل معه التي اتجهت في معظمها إلى تبني توقعات ذات نظرة سلبية أدت نتائجها إلى الإضرار باحتياجات الفرد الذي يعاني من هذه الإعاقة. ومن هذا المنطلق، جاءت هذه النظرية لتؤكد أن منشأ القصور أو العجز لدى هؤلاء الأفراد الذي يحتمل أن يكون لديهم إعاقة فكرية لا يكمن فقط في تركيباتهم الفردية البنيوية، بل أيضاً في علاقتهم الوظيفية بالسياقات البيئية المختلفة التي يعيشون فيها، ولهذا فإن التفاعل الوظيفي ما بين الفرد وبيئته هو المصدر الفعلي لجميع جوانب القصور والمشكلات المصاحبة له. هذا المنظور الوظيفي تبنته الجمعية الأمريكية في تعاريفها الثلاثة الأخيرة للأعوام المتتالية 1992، و2002، و2010 والذي يفسر الوظيفة لدى الأفراد الذين يظهرون تدنياً واضحاً في القدرتين العقلية والسلوك التكيفي بأنها حالة ومنظومة من العلاقات التفاعلية بين الشخص والبيئات المختلفة، وكذلك نمط الدعم المطلوب ومستوياته المختلفة. إذاً هذه العلاقات الوظيفية التفاعلية هي التي تحدد مستوى الأداء الوظيفي الذي يمكن أن يعكس مقدار عمل القدرتين وتفاعلهما مع المنظومة البيئية الاجتماعية مما يمثل هذا الأداء في الأدوار المتوقعة من الأفراد والمناسبة لأعمارهم وثقافتهم الاجتماعية.

ومع هذا التوجه الحديث والتحول الذي طرأ على بنية مفهوم الإعاقة الفكرية أصبح لزاماً إعادة النظر في جميع آليات العمل المستخدمة مع منظور الاتجاه التقليدي لمفهوم الإعاقة الفكرية التي أثبتت الدراسات والتجارب مع مرور الوقت عدم فاعليته وجدواه في تحقيق تلك التطلعات التي خطط لها العلماء والمفكرون في المجال والمتمثلة في محاولة الارتقاء بقدرة الفرد ذي الإعاقة الفكرية ليكون قادراً على

الاستقلالية، وعلى الإنتاجية بالإضافة إلى المواطنة الصالحة التي تعني المساهمة في التنمية الوطنية.

لذلك جاء تطبيق مبادئ النظرية التكاملية في تطوير مفهوم الإعاقة الفكرية نتيجة لمجموعة من الاعتبارات من أهمها:

- إن الأضرار التي تخلفها الإعاقة الفكرية على الفرد تغطي مجالات واسعة من الأبعاد النمائية بمستوياتها المختلفة التي تمتد لتشمل الأبعاد العقلية والمعرفية، والتواصلية، والبدنية والحركية، والصحية، والاجتماعية والنفسية، علاوة على الجانب الأكاديمي. لذلك يجب النظر إلى هذه الأضرار على أنها مجموعة واحدة، وليست بمعزل عن بعضها البعض، لأن التأثير لا ينحصر في بعد واحد، بل يعتبر التأثير تبادلي.

- هذه الأضرار تتباين في قوتها ومستواها لدى الفرد، لذلك يظل الفرد محتفظاً بمجموعة من الكوادر والقدرات القوية في جميع الأبعاد والمشار إليها سابقاً، مما يدحض نظرية العجز التقليدية التي تركز على جوانب الضعف وتُهمَل جوانب القوة.

- إن جوانب القوة والضعف لدى الفرد في جميع الأبعاد السابقة تتأثر بالسياقات البيئية المختلفة التي يقيم فيها الفرد (كالمنزل، والمدرسة، والمجتمع المحلي، أو مجتمع العمل) لهذا فإن التفاعل الوظيفي ما بين الفرد وتلك السياقات البيئية يحدد معالم القوة والضعف في إمكانيات الفرد وما يمتلك من كوادر، مما يجعل الأمر أكثر وضوحاً أمام عمليات التدخل لدعم جوانب القوة التي تستوجب مزيداً من الإجراءات التعزيزية للارتقاء بمستواها، وكذلك جوانب الضعف التي تتطلب شيئاً من التعويض في بعض المعارف والمهارات المفقودة والمتضررة التي يمكن توفيرها من خلال التدريب المستمر وذلك للحفاظ عليها ودعم الأداء الوظيفي الكلي لدى أفراد هذه الفئة.

على أية حال، لقد جاء مفهوم الإعاقة الفكرية في العقود الثلاثة الأخيرة مستنداً في مضمونه النظري وأساليب

تعرف الصحة على أنها حالة من الكمال البدني والعقلي والرفاه الاجتماعي، لذلك فإن إحدى مكونات الصحة الفهم المتكامل للأداء الوظيفي للفرد لأن الحالة الصحية للفرد يمكن أن تؤثر عليه بشكل مباشر وغير مباشر في كل بعد من الأبعاد الأربعة الأخرى، وبالتالي ممكن القول إن المشكلات الصحية هي عبارة عن تلك الاضطرابات والأمراض والإصابات التي بدورها تؤثر على الوظيفة لدى الأفراد في الأبعاد الوظيفية الأخرى.

#### • المشاركة:

المشاركة هو ذلك الأداء للأفراد في الأنشطة الفعلية ضمن مناحي الحياة الاجتماعية ذات الصلة بدور الفرد في المجتمع، ومن هنا فالمشاركة تعني أن هناك أدوار للأفراد وكذلك تفاعلات في مجالات مختلفة كالأنشطة في المنزل، والعمل، والتعليم، والترفيه، إضافة إلى الأنشطة الأخرى.

#### • السياقات البيئية الاجتماعية:

هي مجموعة الظروف أو الأوضاع المترابطة التي من خلالها يعيش معها الناس حياتهم اليومية، ويمثل هذه السياقات ثلاثة مستويات:

- الوضع الاجتماعي المباشر ويمثله في ذلك الشخص والأسرة أو المناصرين للفرد ويطلق عليه النظم الصغيرة.
- الوضع الاجتماعي المتوسط ويمثله في ذلك، الحي، والمؤسسات المجتمعية التي تقدم الخدمات التعليمية أو التأهيلية (نظم متوسطة).
- الوضع الاجتماعي الأكبر والذي يغطي عموم المجتمع الثقافي للفرد في ذلك المجتمع الكبير (الوطن) أفراد المجتمع، والقوى السياسية والاجتماعية في المجتمع (النظم الكبيرة).

وهذه السياقات البيئية والاجتماعية تعتبر مهمة للأفراد ذوي الإعاقة الفكرية من حيث إنها في كثير من الأحيان تحدد ماذا يفعل الفرد من مهام، وفي أي مكان؟ ومتى يؤدي هذه المهام؟ ومع من؟ وبالتالي هذه السياقات

تطبيقية على مجموعة من الأبعاد المتعددة، وفي نفس الوقت متفاعلة وظيفياً. وبهذه الصورة المتكاملة والمتفاعلة لهذه الأبعاد، فإنه ينبغي لنا كمهنيين في العمل الميداني مجال التربية الفكرية أن نؤكد على أهمية هذا التوجه في عملية تقييم وتشخيص الحالات التي تدور الشكوك حولها باحتمالية وجود إعاقة فكرية لديهم، وكذلك في إعداد البرامج المناسبة لهم، بالإضافة إلى المتابعة والمراقبة لفاعلية البرامج وتأثيرها على سلوك المتعلم.

وهكذا، فإن النموذج الوظيفي سيكون أهم الأساليب التطبيقية لهذه النظرية الموجهة لتطوير هذا المفهوم، متمثلاً في استخدام أسلوب الأبعاد المتعددة الذي ينظر إلى تلك الحالات من زوايا مختلفة، ولذلك فإن النموذج الوظيفي للأداء البشري يتكون من خمسة أبعاد أساسية تمثل إطاراً لتحديد مصادر قوة هذا الأداء وضعفه لدى الفرد والتي تتجسد أصلاً وفقاً لهذه النظرية في تركيبة الفرد والتركيب البيئية المتنوعة وما يحدث بينهما من تفاعل وظيفي، وهذه الأبعاد الخمسة وردت في شالوك (Schalock, 2010) وفقاً للتالي:

#### • القدرات العقلية:

تمثل هذه القدرات في خاصية الذكاء الذي هو عبارة عن قدرة عقلية عامة تشتمل على الاستنتاج، والتخطيط، وحل المشكلات، والتفكير بصورة مجردة واستيعاب الأفكار المعقدة والتعلم بسرعة بالإضافة على التعلم من الخبرة أو التجربة. وهذه الوظائف العقلية تعتبر وظائف عقلية عامة مطلوبة لفهم ودمج مختلف هذه الوظائف بصورة بناءة، بما في ذلك الوظائف المعرفية وتطورها عبر حياة الفرد.

#### • السلوك التكيفي:

يعرف السلوك التكيفي على أنه مجموعة من المهارات المفاهيمية والاجتماعية وكذلك المهارات العملية التي يتم تعلمها وأدائها من قبل الأفراد ضمن حياتهم اليومية.

#### • الصحة:

تتكون من مجموعة العوامل تمثلها في ذلك العوامل البيئية كالبيئة المادية والاجتماعية أو المواقف الاجتماعية، كذلك العوامل الشخصية للفرد وعلى رأسها الخصائص الشخصية، هذه العوامل تتفاعل معاً وتظهر على شكل مخرجات سلوكية سواء كانت ضعيفة أو قوية لدى الفرد.

هذا الإطار العام المكون للنموذج الوظيفي وأبعاده المختلفة استخدمته الجمعية الأمريكية للإعاقات الفكرية والنمائية في أدلتها الثلاثة للأعوام 1992، و2002، وأخيراً في دليل 2010 الذي أدخل عليه تعديلات وتقييمات تطويرية، وأسمته أسلوب الأبعاد المتعددة في تشخيص وتصنيف ودعم الإعاقة الفكرية.

إن الهدف من التمازج ما بين الأبعاد الخمسة وعناصر تعريف الإعاقة الفكرية (محكات ومعايير) هو العمل على تقديم صورة إجرائية واضحة المعالم لطبيعة هذه الإعاقة، وما يصاحبها من مشكلات، بالإضافة إلى ما تتطلبه من احتياجات قد تفرزها نتائج التقييم الشامل للأبعاد الخمسة، ولهذا قدمت الجمعية الأمريكية للإعاقة الفكرية والنمائية في دليلها الحادي عشر (2012) قالب عملي لتطبيق الأسلوب ذي الأبعاد المتعددة الذي يقوم على ثلاث وظائف، لكل وظيفة مجموعة من الأغراض يقابلها في نفس الوقت مجموعة من الأدوات والمقاييس التي يجب أن تكون منسجمة مع هذه الأغراض، ولذلك تتعامل هذه الوظائف الثلاث مع الأبعاد الخمسة بشرط اقترانها بتلك المحكات والمعايير الواردة في التعريف كشرط أساسي لتحديد طبيعة الإعاقة وكذلك للتأكيد على أهلية الفرد لاستحقاق خدمات التربية الخاصة والخدمات المساندة.

على أية حال، تغطي عملية التقييم التي يقوم بها هذا الأسلوب الوظائف التالية:

#### ● التقييم من أجل التشخيص

تسعى هذه الوظيفة للتعرف إلى أي مدى يعاني الفرد من الإعاقة، وفي حالة وجود الإعاقة، فإنها أيضاً تعمل على تحديد أهليته لاستحقاق خدمات التربية الخاصة والخدمات

المساندة، وفي حالة التأكيد على استحقاقه لهذه الخدمات التربوية، فإن الباب يُشرع أمامه لتلقي المزيد من الدعم في شتى المجالات التي قد يحتاج فيها الفرد إلى أنواع مختلفة من الدعم كالدعم المالي والقانوني... إلخ. ولذلك سوف تعتمد هذه الوظيفة في عملية تقييمها على مجموعة من المقاييس والأدوات الموجهة بقصد تقييم وقياس أداء الفرد في جميع القدرات المتصلة بهذه الأبعاد الخمسة.

#### ● التقييم من أجل التصنيف والوصف

تسعى هذه الوظيفة وفق أغراضها وأدواتها المختلفة إلى الوقوف على طبيعة التصنيف المناسب لإمكانيات الفرد، لذلك قد تتعدد في هذه الحالة النظم التصنيفية التي يمكن من خلالها تحديد جوانب القوة والاحتياج المطلوب حيث يتم وصفها وصفاً دقيقاً حتى تحقق الغرض الذي من أجله تم اختيار النظام التصنيفي المناسب لاحتياجات الفرد ولعل أبرز هذه النظم التصنيفية نظم الدعم المكثف.

#### ● التقييم من أجل بناء برامج الدعم المطلوبة لاحتياجات الفرد

تعتمد هذه الوظيفة الأخيرة على نتائج الوظيفتين السابقتين ، لذلك ينبغي أن يشمل النموذج المقترح للبرنامج جميع ما ورد من وصف لجميع جوانب القوة والاحتياج في جميع الأبعاد الخمسة، وتحويل هذا الوصف إلى أهداف تعليمية عامة وخاصة تشكل في مجملها البرامج التربوية المطلوبة للفرد وما يساندها من خدمات دعم للعملية التعليمية.